

العرب واليهود في التاريخ

الدكتور أحمد شوباش



العرب مخترعو الحروف الهجائية (الابجدية)

في وقت لاحق من اللغة الام الاصلية .
ثالثا -

عصر اليهود ويبدأ في القرن السادس قبل الميلاد في اعقاب السبي البابلي ، وهو عصر يهودي بحت قائم بذاته ايضا بلغته وثقافته وديانته ويشتمل بداية اليهودية ،

اذ تبدأ الديانة اليهودية الحالية بكتابة التوراة على يد الكهنة في الاسر في بابل وما بعد الاسر في اللغة التي صارت تعرف بالعبرية (ارامية التوراة) ، وهذه هي التوراة التي بين أيدينا اليوم وهي غير التوراة التي نزلت على موسى باللغة المصرية قبل ثمانمائة عام من عصر اليهود هذا .

ويحسن بالقارىء ان يلاحظ تسلسل هذه الادوار التسلاية بالقياس الى اللغة والثقافة حسب ازمانها عند متابعة هذا البحث ليكون على بينة من الزمن الذي ينتمي اليه كل حادث من الاحداث التاريخية لان كتابة التوراة تعمدوا الخلط بين الادوار التاريخية واهمال التسلسل الزمني فربطوا العصور بعضها ببعض وذلك لكي يرجعوا تاريخهم الى عصر لم يكن لهم أي وجود فيها فيلتبس الامر على القارىء، وهذه الادوار كما تقدم :

اولا - عصر ابراهيم الخليل ويرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ولغة هذا العصر اللغة السامية العربية الام والديانة وحدانية ابراهيم الخالصة .

ثانيا - عصر موسى ويرجع تاريخه الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ،

ولغة هذا العصر اللغة المصرية في بداية الامر ثم الكنعانية ، اما الديانة فوحدانية اخناتون في بداية الامر ثم الانحراف الى الوثنية .
ثالثا - عصر اليهود ويرجع تاريخه الى القرن السادس قبل الميلاد ، ولغة هذا العصر الارامية والعبرية (ارامية التوراة) التي كتبت بها التوراة ، اما الديانة فوحدانية يهوه الخاصة باليهود فقط . وتبدأ اليهودية المنحلة بالتوراة ببداية هذا العصر .

الهجرات العربية الى الهلال الخصيب

٣ - ان سكان فلسطين الاصليين هم الكنعانيون الفينيقيون والعموريون العمالقة ، وهم من القبائل العربية التي هاجرت من وطنها في شبه جزيرة العرب بسبب الجفاف الذي حل بها . فعاشت هذه القبائل بزعامه ملوكها ورؤسائها في وطنها الجديد مدة تزيد على ألفي سنة قبل ظهور جماعة موسى ، وهكذا يعد ارتباطها بالجزيرة العربية جزءا من مكانها الفلسطيني سياسيا واجتماعيا وثقافيا ودينيا واقتصاديا .

٤ - اعقب هجرة الكنعانيين والعموريين هجرة جماعات اخرى من القبائل العربية من شبه جزيرة العرب ايضا الى « حاران » (منطقة حران الحالية) الواقعة في منابع رافدي الفرات ، « الخابور » و « البليخ » في شمال سورية وهؤلاء صاروا يعرفون بالاراميين ، وقد عاشوا في وطنهم الكنعانيين والعموريين والعمالقة مرتبطين بالجزيرة العربية ارتباطا وثيقا .
٥ - ولغة هذه القبائل كلها كانت في الاصل لغة واحدة ، هي اللغة السامية العربية الام ، ثم تفرقت منها اللهجات السامية العربية من غير ان تفقد اصولها ، منها الكنعانية والفينيقية والموآبية والعمرانية التي صارت تعرف عند اللغويين بالمجموعة السامية الغربية ، ومنها العمورية والارامية التي صارت تعرف بالمجموعة الغربية الشمالية ، تميزا لها عن مجموعتي اللغات السامية الشرقية التي تمثلها الاكدية وفعراها البابلي والاشوري في العراق واللهجات العربية الجنوبية في جنوب الجزيرة ، ومنها المينية والسبئية والاثيوبية والعربية والامهرية .

٦ - ويرجع بل ويؤكد عدد من الخبراء ان اللغة التي يتكلم بها بدو الجزيرة العربية الان هي اقرب جميع اللهجات الى اللغة الام الاصلية التي كان يتكلم بها ابناء الجزيرة قبل ان تفصل لهجاتهم في مستوطناتهم الجديدة ، وذلك على اساس ان هؤلاء بقوا منزولين في صحرائهم دون ان يخلطوا بالاقوام الاخرى القريبة في لغاتها وقومياتها . وفي ذلك يقول « نولدكه » الخبير المعروف في اللغات السامية ، « ان من الضروري في دراسة مقارنات اللغات السامية البدو باللغة العربية ، ذلك بان تاخذ في تسجيل خصائصها ومميزاتها وقواعدها وكيفية النطق بالفاظها وما الى ذلك ثم تقارن ما سجلناه بما يقابله في بقية اللغات السامية لتتفك بذلك على ما بين هذه اللغات من مفارقات ومطابقات . »

٧ - ونزلت بطريق الفرات اسر من القبائل الارامية في « حاران » (حران) الى منطقة بابل في العراق ، وذلك قبل ظهور جماعة موسى بنحو ٩٠٠ عام ، فولد ونشا فيها ابراهيم الخليل صاحب رسالة التوحيد والشهور ، فاضطر تحت ضغط الوثنيين من السكان الى الهجرة من بابل الى وطن عشيرته في « حاران » (حران) ، ثم اتجه مقتربا في فلسطين في عمر ثم في فلسطين مرة اخرى .

٨ - لذلك فيتوجب على كل عربي ان يتفهم حضارات هذه الاقوام التي دامت اكثر من ألفي سنة قبل عصر موسى وينوسع في الوقوف على ما تركوه من تراث اصيل يعد من اهم عناصر التقدم في مسيرة التمدن البشري ، هذا مع ضرورة تفهم تاريخ اليهود على حقيقته .

عالم عربي واحد - وحدة جغرافية واحدة

٩ - ومن الواضح الجلي ان الهجرات المتتالية التي اتبعت من جزيرة العرب الى مختلف انحاء الهلال الخصيب كانت من اهم العوامل لتنمية الكيان الحضاري السامي في الشرق الأدنى ، والسير به نحو التقدم والتطور في مختلف المادين - الزراعيه والتجارية والسياسيه والعسكريه والاجتماعية والثقافية - الكيان الذي انبثقت منه اقدم الانبساطوريات واعظمها مما عرفه العالم في تاريخ البشرية ، اي الانبساطوريات الساميات الخمس : الاكدية ، والبابلية ، والاشورية والكلدانية ، واخيرا الانبساطوريات العربية الاسلامية .

١٠ - ولتلق الان نظرة شاملة على الوضع الذي كانت عليه بلاد الشرق الأدنى وهي تسبح في بحر الالف الثالثة قبل الميلاد فماذا ترى ؟ .
علا واسما يؤلف فراغا شاسعا من الصحارى تحده الحضارة المستقرة على ضفاف وادي النيل من جهة الغرب وحضارة وادي الرافدين في جنوبي العراق من الجهة الشرقية : حضارتان اقدتاهما نعم الحياة بما اغدقته عليهما من ارض خصبة ومياه عذبة يقف بينهما شعب تائه في صحرائه حائر في امره في وجه الجفاف الذي صار يهدده في صميم حياته بعد ان حرمته الطبيعة من مصدر وجوده ، وهو متمشئ بنشد حياة جديدة في وطن جديد يسد فيه حاجته للقمع العيش . فكان عليه ان يحارب الطبيعة ويشق طريقه عبر البوادي القاحلة الى الحياة التي كان يشدها ، وهو واقق بوحي الفرزة من اجل الحياة بان ما وراء هذا البحر من الرمال علا غير عاله تتوفر فيه وسائل الخلاص ، مما هو عليه من مصر يضم بين طياته هلاكات حتميا ، ففقط الصحارى كما قطع كولبس الحجار ليكتشف عاله الجديد في اواخر القرن الخامس عشر بعد الميلاد حتى وجد الشعب ضالته في وادي الاردن وتخوم وادي النيل في جهة الغرب ووادي الرافدين في جهة الشرق ، فاخذت الحشود تتوافد على هذا العالم الجديد على موجات متتابعة كما توافد اهل اوربوا على امريكا في منتصف القرن السابع عشر بعد الميلاد ، فشمرو هؤلاء الاشواوس قاهرو الصحارى عن سواعدهم واخذوا يبنون حياة جديدة في عالمهم هذا ، مستقلين الزراعة والتجارة وتربية المواشي في بناء عالمهم الجديد ، فتكثروا من وضع اسس اعظم حضارة عرفها تاريخ الانسان القديم ، سالكين نفس الاساليب التي سلكها المهاجرون الى امريكا في تشييد حضارتهم التي ما زالت قائمة في عصرنا هذا . وتذكرنا هجرات سكان الجزيرة الى الهلال الخصيب بهجرات النورمان المتواليه من اعالي اوربوا نحو جنوب القارة الاوربية وشرقها في القرن التاسع بعد الميلاد وفيما بعده وبوغلم في روسيا وفرنسا وانكلترا واطاليا حيث طبعوا بلاد اوربوا بطابعهم الخاص الذي لا يزال موجودا الى يومنا هذا ، مع الفارق ان النورمان انحدروا من الشمال الى الشرق والجنوب والغرب في حين ان سكان الجزيرة صعدوا شمالا وشرقا نحو الهلال الخصيب في اسيا الغربية .

١١ - فالجزيرة العربية اذن هي بحق مهد الحضارات السامية ، فقد قذفت بانبائها الاشداء الى ما وراء الصحارى بحكم سنة تنازع البقاء ليحققوا لانفسهم العيش الرغيد في الاوطان الجديدة . ويفضل تشابك مصالح هذه القبائل بعضها ببعض وتفاعل نشاطها في سبيل الحصول على حياة افضل ، تكون عالم عربي واحد تمسززه وحدة جغرافية واحدة مترابطة الاجزاء تضم الجزيرة العربية (الام) وابنائها في البلاد المهاجر اليها (وادي الرافدين وسوريا ولبنان وفلسطين الى مصر السفلى)

وهو عالم متصل مفتوح السبل لاهله مرتبط بعضه ببعض بوشائج الاصل السامي العربي ، قائم بذاته ، يتكلم